مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العـدد: 02 (2023)، ص: 1668-1682

الشخصانية في فكر" محمد عزيز لحبابي

Personality in the thought of Muhammad Aziz Lahba

د. محمود بديار[1]

[1] جامعة وهران 2 (الجزائر)، mahmoud.20beddiar@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/08/03 تاريخ القبول: 2023/08/22 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: نتيجة للانفجار العلمي و التكنولوجي بكل أبعاده الذي وصلت إليه المجتمعات الغربية المعاصرة ، أين أصبحت تتحكم و تمتلك كل مؤهلات السيطرة في حين أن المجتمعات العربية المعاصرة بقيت تحت هيمنة التكنولوجيا الغربية المعاصرة ، أي أن المجتمع العربي المعاصر أصبح يعاني التبعية في كل مجالات الحياة لا ينتج بل مجتمع مستهلك فقط سواء على مستوى الأكل ، اللباس ، الثقافة .....الخ ، أي أن هذه المجتمعات العربية المعاصرة أصبحت تفتقد للشخصية التي تجعل منها مجتمع قوي أمام الآخر ، له السيادة و الهمة في اتخاذ القرارات و عدم التبعية للآخر ، و قد تطرق للشخصانية على المستوى العربي المعاصر المفكر المغربي محمد عزيز لحبابي ، إذ على غرار غيره من المفكرين العرب الذي حاولوا رفع هموم المجتمع العربي المعاصر و تحقيق مشروع النهضة الذي من شأنه أن يعيد للإنسان العربي شخصيته وهامته أمام الآخر.

و في مقالنا هذا نهدف إلى إبراز أهم معالم الفكر الشخصاني في فكر محمد عزيز لحبابي و ذلك باعتباره أهم مفكر عربي تطرق إلى الشخصية العربية محاولا بذلك إعادة الاعتبار لها أمام الهيمنة الغربية .

كلمات مفتاحية: الشخصانية ، المجتمعات الغربية المعاصرة ، المجتمعات العربية المعاصرة ، مشروع النهضة ، التكنولوجيا ، محمد عزيز لحبابي .

Abstract: As a result of the scientific and technological explosion in all its dimensions that contemporary Western

societies have reached, where they have become controlling and possessing all the qualifications of control, while contemporary Arab societies have remained under the dominance of contemporary Western technology, meaning that contemporary Arab society has become suffering from dependence in all areas of life. A consumer society only, whether in terms of food, dress, Culture .....etc, meaning that these contemporary Arab societies have become lacking in the personality that makes them a strong society in front of the other, which has sovereignty and determination in making decisions and not subordination to the other. Muhammad Aziz Lahbabi, like other Arab thinkers who tried to raise the concerns of contemporary Arab society and achieve the renaissance project that would restore the Arab person his personality and his importance in front of the other.

It would restore the Arab person his personality and his importance in front of the other.

In this article, we aim to highlight the most important features of personal thought in the thought of Muhammad Aziz Lahbabi, as he is the most important Arab thinker who touched on the Arab personality in an attempt to reconsider it in the face of Western hegemony.

Keywords: Personality, Contemporary Western Societies, Contemporary Arab Societies, The Renaissance Project, Technology, Muhammad Aziz Lahbabi

***المؤلف المرسل: محمود بديار**

مقدمة :

ظهر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى و ظهور مصطلح " تركة الرجل المريض " و التي بموجبها تقاسمت أوروبا غنائم الدول الاستعمارية لتواصل سيطرتها عليه و نهب خيراتها ، و إزاء تقسيم الغنائم انقسم العالم إلى عالم يملك القوة و كل مؤهلات السيطرة ، التي تمكنه من التحكم في جميع مجالات الحياة

بكل أبعادها الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية ، مما أتاح للمجتمعات داخل هذا العالم العيش في رفاهية و سعادة نتيجة توفر كل متطلبات الحياة ، و مع الحركات الاستعمارية بأساليب أخرى غير السلاح على المجتمعات الضعيفة المقهورة التي تعاني عكس نظيراتها في أوروبا كل الضعف و التخلف و الانحطاط و الذي ينتج عنه تدهور على مستوى مجالات الحياة من جوانبها الاقتصادية و الاجتماعية و الصحية و السياسية ، لتصبح بدون هوية ، مجتمعات تستهلك و لا تنتج ، مجتمعات تعاني التبعية للآخر في كل شيء ، و المجتمعات العربية المعاصرة اليوم في ظل الانفجار الرقمي

و التكنولوجي الذي يشهده الغرب مازالت تعاني الركود الحضاري و التبعية و هو ما جعلها مجتمعات فاقدة للشخصية بتعبير محمد عزيز لحبابي الذي نتطرق في مقالنا هذا إلى فكرة الشخصانية عنده ، إذ أنه واحد من أهم المفكرين الذين عايشوا فترة الانحطاط الذي تعاني منه الشعوب العربية محاولا بذلك طرق أبواب التقدم و التطور و لكن ذلك لن يتحقق في نظره إلا من خلال إعادة بناء الشخصية العربية بما هي كذلك ، و من هذا الأساس نطرح التساؤل التالي :

حسب محمد عزيز لحبابي ما هي الأسس التي على أساسها نعيد بناء الشخصية العربية ؟ ، ثم إلى أي مدى نجح مشروع لحبابي في التأسيس لإعادة الشخصية العربية ؟

هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها من خلال اعتماد المنهج التحليلي حيث سنحاول الحديث عن أهم النقاط الأساسية في الفكر الشخصاني عنده و ذلك من خلال المحطات التالية :

1- في مفهوم الشخصانية و تاريخها في الفكر الفلسفي :

قبل البدء في تفاصيل الفكر الشخصاني عند عزيز لحبابي نحاول التقصي حول مفهوم الشخصانية كنزعة أو فلسفة عبر تاريخ الفكر الفلسفي و ذلك من خلال النقاط التالية :

أ - الشخصانية في اللغة : من الجذر اللغوي للمصطلح الفرنسي Personne و الذي يعود في أصله إلى Persona و التي تعني القناع أي ما يقنّع الوجه

و يحول دون رصد ملامحه ، حيث يبدوا الوجه بملامحه القارة الثابتة ، فالقناع هو ما يجعل الوجه ممتنعا عن كل تثبيت ، إن Persona هو أسمى ما في الإنسان أي استحالة الموضعة و التثبيت (محمد سبيلا ، الهرموزي محمد ، 2018 ،ص 303) ، أي تعني هنا الشخصية استحالة الثبات على و ضع واحد مما يجعل الشخصية متميزة عن غيرها تصنع تاريخها بنفسها.

و لكن المصطلح الفرنسي ، " Personne" قد وجد لنفسه جذر آخر من اللغة اليونانية و هو Persopon و التي تعني النظر إلى وجه الغير و التواجد معه ((محمد سبيلا ، الهرموزي محمد ، 2018 ،ص 304)

و هذا التعريف الثاني يؤدي بنا إلى استحضار أحد أهم المشكلات في تاريخ الفكر الفلسفي و هي مسألة الشعور بالأنا و الشعور بالغير و فيها أن الشخصية الإنسانية تتأسس انطلاقا من التفاعل مع الغير.

ب الشخصانية اصطلاحا :

بعد أن تطرقنا في السابق إلى الشخصانية في جذورها اللغوية و التي كانت تعني أحيانا الوجه المتميز و أحيانا أخرى النظر إلى الغير و التفاعل معهم لصقل الشخصية أكثر مما تعني عموما ذلك القناع الذي يهذب و يصنع الشخصية سواء من جهة تميزه بقيم و مبادئ ذاتية أو من حيث تواصله و تفاعلاته مع الآخر لبناء شخصيته المثلى ، نحاول الآن أن نطرق أبواب الشخصانية من الناحية

الاصطلاحية و كذا جذورها التاريخية ، لنقول بذلك أن الشخصانية هي ذلك المصطلح الذي ينتمي إلى أحد التيارات الفكرية التي ظهرت في فرنسا في ثلاثينيات القرن العشرين إلى جانب الفلسفة الوجودية و الفينومينولوجيا و تقوم الشخصانية على أساس أخلاقي مضمونه احترام الشخص الإنساني و عده قيمة مطلقة تتعالى عن الموضوعات ، حيث يكون الشخص هو مركز الكون كما تعلو عالم المؤسسات السياسية و الاقتصادية التي ما هي إلا وسائل في خدمة الشخص بوصفه غاية في حد ذاته (محمد سبيلا ، الهرموزي محمد ، 2018 ص 302) ، و بهذا المعنى تكون الشخصانية نزعة أو نظرية أخلاقية اجتماعية تعتمد على القيمة المطلقة للشخص ، كما أنها تعطي كل الاعتبارات لصالح الشخص بدل الاهتمام بالأشياء ،أي أن الشخصانية هي عين الشخص ذاته تحاول إعادة الاعتبار للماهية الحقيقية للإنسان الذي سلبته منه سياسة المجتمع الصناعي أين أصبح الإنسان كائن استهلاكي مثله مثل الكائنات الحية الأخرى ،

و في هذا الصدد يقول مؤسس الشخصانية الفرنسي " مونييه " إن فضاء الشخص هو فضاء الإنسان ، يعني هذا أن الشخصانية تريد أن تقدم نفسها كخلاص للإنسان من خلال الكشف عنه كشخص يختص بالخلق الذاتي

و الغنى الروحي غير القابل للاستنفاد كما يختص بالقدرة على الحوار والاندماج و من ثمة اكتسابه لخصائصه الجوهرية و ماذا ما يعنيه مفهوم التشخصن إذ لا يولد الإنسان شخصا بل يصبح كذلك . (محمد سبيلا ، الهرموزي محمد 2018 ،ص 303). يعني هذا أن الإنسان عند مونييه شخصيته لا تولد معه و إنما تتكون عن طريق الاكتساب من خلال التفاعل والاندماج مع الآخرين ، إضافة إلى تجارب الحياة العامة ، و هذا الطرح لدى مونييه هو نفسه ما ذهبت إليه وجودية جون بول سارتر عندما قالت بوجود إنسان أولا ثم يحقق ماهيته من خلال تفاعلات الحياة العامة ، و يقول أيضا أن

النزعة الشخصانية هي الإقرار بأن للشخص قيمة مطلقة لا يحب انتهاكها لا يجب بأي وجه من الوجوه و على عكس الأول فإن رونفييه ميز بين الشخصية والفردانية حيث أن الفرد قادر على التجرد من ذاته و التخلي عنها من أجل الآخرين (عزيزو محمد ، 2015 ، ص 72).

و أما عن الشخصانية من حيث النشأة فإن الدراسات تقول أنها ظهرت في البداية في الأوساط الدينية حيث يعتبر رجل الدين الإصلاحي الفرنسي " ألبين مازيل "هو أول واضع لهذا المصطلح ، إلا أنه نتيجة لعدم تأثيره في المجتمعات المتدينة التي تعطي الاعتبار أكثر للدين ، فنجد غالب ما يغض الطرف عن ذلك مما يجعل الدراسات حول الشخصانية ترجع حسب مونييه النشأة الأولى لها انطلاقا من الدراسات الفلسفية خاصة في عصر التنوير مع الكانطية و تحديدا إلى الفيلسوف الفرنسي شارل رونفييه الذي استعمل المصطلح لأول مرة سنة 1903 ، و ذلك في سياق تصنيفه لفلسفته ، و عاود الظهور مرة أخرى سنة 1930 ليقصد به جملة البحوث التي كانت تنشرها مجلة " فكر" (محمد سبيلا ، الهرموزي محمد 2018 ،ص 304) كما تعني كما اعتبرها أيضا بأنها فلسفة قائمة على الفرد و الفردانية و هي مرادفة للذاتية و هي القول بأن الشخصية مقولة لإدراك العالم (جلال سعيد الدين د ت ، ص 124).

و بذلك فإن الشخصانية هي فلسفة مثلها مثل الفلسفة الوجودية تهتم بالإنسان ذاته و تجعله هو مركز الكون ، هو الحقيقة ، هو الذي يتحكم في شؤون الحياة و هو من يصنعه ماهيته بنفسه . و كما أنه في الوجودية توجد وجودية مؤمنة و وجودية ملحدة ، فإن الشخصانية في سعيها إلى الإعلاء من الإنسان كقيمة أخلاقية اتخذت أشكالا مختلفة و متنوعة لذلك يعترف مونييه بأنه يمكن الحديث عن شخصانيات تندرج تحت القطبين الأساسيين التاليين و هما الشخصانية المسيحية و الشخصانية اللأدرية و يعترف مونييه بضرورة احترام

اختلافاتها و تنوعها هذا التنوع الذي يعود في أصله إلى تعدد المشارب التي نهلت منها الشخصانية حيث في الجذور الأولى يعود بنا مونييه إلى الفكر اليوناني أين نجد إنكساغوراس الذي ركز الشخص بناءا على العقل كأساس للوجود و أنه علة محركة منظمة بحيث وصفه بأنه آلة كيفية " العقل ألطف الأشياء و أصفاها بسيط مفارق للطبائع كلها إذ لو كان ممتزجا بشيء أخر لكان مشابها لسائر الأشياء و لما استطاع و هو ممتزج أن يفعل و هو بنفس القدرة التي يفعلها بها وهو خالص عليم بكل شيء قدير على كل شيء متحرك بذاته" (يوسف كرم ، 1936 ، ص 55)ثم إلى مقولة سقراط " إعرف نفسك بنفسك " و التي وجد فيها مونييه مبدأ مؤسسا للشخصانية ، إلا أنه مبدأ لم يكتب له في غمرة فلسفة لم تكترث بالإنسان بل جعلت " الكوسموس " الكون في نظامه و انسجامه مصدر دهشة و إلهام لها الإضافة إلى ذلك فإن النزعة الإنسانية للمسيحية جعلت منها أحد أصول الشخصانية غير أن مونييه يرجع الأصل القوي لهذه الفلسفة إلى بدايات الفلسفة الحديثة ممثلة في فلسفة كانط التي أرست دعائم فلسفة الذات بمعزل عن النزعة الفردانية (محمد سبيلا ، الهرموزي محمد ، 2018 ،ص 305)

و على أساس ذلك انتهت إلى تأسيس مفهوم أخلاقي للذات يجعل من الإنسان غاية في ذاته و ليس وسيلة لها غايات نفعية ، و بالتالي فإن الظهور الأول للشخصانية كفلسفة تهتم بكرامة الإنسان و قيمته و الإعلاء في شأنه بدأ مع عصر التنوير و قد أخذ الأخلاق كأساس ذلك .

علاوة على الشخصانية المسيحية و اللأدرية يمكننا أن نتكلم أيضا عن أنواع من الشخصانيات من ذلك الشخصية القاعدية و التي تنتمي إلى الأنثروبولوجيا الثقافية و التي تعنى بحدود تأثير ثقافة ما على شخصية الأفراد الذين ينتمون لها و الشخصية القاعدية حسب المحلل النفسي كاردينار" هي تلك الشخصية المشتركة بين أعضاء جماعة ثقافة معينة و تضاف إلى الشخصية

القاعدية باقي خصائص الشخصية ا أخرى و تقوم نظرية كاردينال على أطروحة مؤداها أن الفرد في لقاءه مع المجتمع الذي ترعرع فيه يدخل نوعا من الإشراط و الذي يمنح مع مرور وقت شخصية يتقاسمها هذا الفرد مع باقي أفرد ثقافته " (محمد سبيلا ، الهرموزي محمد ، 2018 ،ص 306) ، هذا و قد استند المحلل كاردينال في بناء نظريته حول الشخصية انطلاقا من الكثير من المفاهيم التي طورها " سيغموند فرويد " خاصة تلك المتعلقة بالنمو النفسي لدى الطفل و تكوين الأنا من كتاب " الهو و الأنا و الأنا الأعلى .(محمد سبيلا ، الهرموزي محمد ، 2018 ،ص 307) و من هنا نستنتج أن الشخصانية تعني أيضا من يتلقاه الفرد من مقومات و معارف و مهارات و كذا عادات و تقاليد اكتسبها من خلال تفاعلاته مع المجتمع و بالتالي نستنتج أيضا أن الثقافة لها دور في تكون وصقل شخصية الفرد و تكوينها و مادام أن الثقافة تتنوع و تختلف من مجتمع لأخر و منه حتى الشخصانية تتنوع حسب البيئة و الثقافة التي لدى كل مجتمع ، وانطلاقا من ذلك فإن الشخصانية لم تبقى في أوروبا بل وصل تأثيرها في ثلاثينيات القرن الماضي إلى المجتمعات العربية المعاصرة ، الأمر الذي يجعلنا نتحدث عن وجود شخصانية إسلامية عربية تعبر عن ثقافة و خصوصية الفرد العربي المسلم سواء كفرد أو داخل المجتمع و كان داخل الفكر العربي المعاصر يالمفكر المغربي محمد عزيز لحبابي مؤسسا لها و هو ما نحاول التطرق له في قادم الصفحات .

الشخصانية عند عزيز الحبابي : الحبابي محمد عزيز المفكر المغربي كما ذكرنا سابقا أبرز ممثلي الفكر الشخصاني في الفكر العربي المعاصر حيث حاول إسقاط هذا التيار على المعاناة والمأساة التي يتخبط فيها الإنسان العربي ومن ذلك التحرر من التبعية للاستعمار ، حيث جعل محور تفكيره السعي إلى إيجاد عالم اقتصادي جديد و فلسفة جديدة انطلاقا من أنسنة تقوم على قيم و معايير

جديدة يكون للعالم الثالث الدور الأكبر فيها بعيدا عن النماذج السائدة ، و قد اتخذ منهجيا نقديا تحليليا في مقاربة مختلف القضايا و الأفكار و الأقوال و أضفى عليه لمسة بيانية في نحت المقولات والمصطلحات الجديدة ساهمت في إثراء القاموس العربي

و قد كان منهجه هو منهج وسطي يعتمد على التحليل الباطني كالبرغسونية و الوجودية و يراعي الشروط المادية الموضوعية ((إسماعيل مهنانة ، 2014 ، ص 140). هذا وقد تضمنت فلسفة الحبابي شخصانية واقعية ، شخصانية إسلامية ، شخصانية غدية و رغم هذا التعدد فإن ما ميز فكره هو الشخصانية في خطوطها العريضة و هذه تفاصيلها فيما يلي :

الشخصانية الواقعية : و تمثل المرحلة الأولى من بداية تفكيره و قد جعل محورها الأساسي و كيفية الانتقال من لدى الإنسان من الكائن إلى الشخص من الناحية المفاهيمية أي توضيح شخصية الإنسان بكل تفاصيلها و أما من الناحية الأخلاقية إثبات الشخص بوصفه قيمة ومن خلال مبادئ الشخصانية الواقعية يظهر الاختلاف بينها وبين الشخصية لأنها نسق يتمحور حول الكائن ليجعل منه شخص ينزع إلى التأسيس فالجنس البشري وحده يصنع التاريخ و من هنا نستخلص أن الشخصانية الواقعية في فكر الحبابي تنطلق من الكائن إلى الشخص وصولا إلى الإنسان الذي يشكله الحد الأقصى الذي يصبو إليه التشخص من خلال تجاوز الذات في العالم والآخرين و تناول الجوانب المعنوية بمعنى قيمة الإنسان ومكانته الأخلاقية حيث يقول الحبابي " أن الإنسان لا يحمل في ثناياه المعاني المذمومة التي تصاحب في غالب الأحيان لفظتي شخصي و فردي اللتين كثيرا ما تختلط معانيها أما الإنسان والإنساني فالكلمتان لهما محتوى لا يعتريه أي التباس أو إبهام " (الحبابي محمد عزيز، 1998 ، ص ، ص 98- 99.)

و بالتالي فإن ما يركز عليه الحبابي في الشخانية الواقعية و هو التركيز على الإنسان من حيث المصطلح فهو الذي بدوره ينزع نحو التعالي والسمو بالشخصية الإنسانية ، و لما كانت الشخصانية الواقعية انطلقت عند الحبابي من واقع إنسان العالم الثالث و معاناته فإن الهدف منها عند الحبابي هو إعادة بناء الإنسان من جديد والرفع من شخصيته و قيمته و رفع قيمته أما بقية المجتمعات و تحريره من السيطرة والتبعية السياسية والاقتصادية للغرب .

الشخصانية الإسلامية : و هي تمثل لنا المرحلة الثانية من مراحل تفكير الحبابي في الشخصانية ، حيث انتقل من الشخصانية الواقعية التي تستند إلى الواقع المعاش أي أنها نابعة من رحم أزمات الواقع ، و بعد ذلك ينتقل الحبابي إلى الشخصانية الإسلامية ذات المرجعية الدينية و التأثير الإيديولوجي بالنسبة له ، فمن خلال التمسك بالمبادئ الموجودة في الإسلام يستطيع الإنسان العربي الرفع من قيمته

و بناء حضارة مثل الغرب ،فالانتقال من الشخصانية الواقعية إلى الشخصانية الإسلامية عائد إلى "أن الأولى نقدية تظهر ما في النظام القبلي من فساد يقوض كيان الفرد و ينهي فيه غريزة التعصب والاعتداء وأما الشخصانية الإسلامية فهي تأسيسية تفتح لذلك الإنسان بعد إن يسلم أفق الشخص بمعنى أفق العمل والاجتهاد و تغير ما بالنفس و تحقيق الشخصية الفردية والتاريخية". (حميش سالم 1988 ، ص 195) .

إن الهدف من الشخصانية الإسلامية عند عزيز الحبابي هو تحصين الهوية الإسلامية و إبراز لمعالم الإسلام ، فمعالم شخصية الإنسان العربي تظهر من خلال إتباع المبادئ الإسلامية و الاعتراف بها كذخر للرفع من الشخصية .

و قد حاول محمد الحبابي إذن أن يبحث عن الشخصانية في الفكر الإسلامي و ذلك من خلال موقفه الانتمائي للإسلام حيث أعطاه طابعا مميزا عن باقي الفلسفات الشخصانية بحيث أصبح منبرا يجاوز بين الإيمان بالله و الإيمان

بالإنسان مع تطبيق ما يقتضيه ذلك من مبادئ ، و الشخصانية في الإسلام جعلت من الحبابي محاولة البحث عن مفهوم الشخص في الإسلام ، فما هو مفهومه في الإسلام ؟

مفهوم الشخص في الإسلام : يولي الدين الإسلامي أهمية بالغة للشخص من خلال الإعلاء من قيمته و احترام كرامته و احترام حقوقه وواجباته ، و لما كان الحبابي العربي ينتمي إلى الدين الإسلامي ومن خلال تأثره بالشخصانية الغربية ومحاولة إسقاطها على الفكر العربي للرفع من شأنه فإن بدايته كانت قد تمحورت في البحث بداية عن كلمة شخص في الثقافة الإسلامية حيث " استخدم الحبابي الفردانية الذاتية في القبيلة العربية إبان عصر الجاهلية ليوضح المعاني والدلالات التي توصل إليها كلمة شخص." (وقيدي محمد ،1999 ، ص 161.)، إن كلمة شخص تختلف عن كلمة فرد التي تقال على جميع الكائنات والأشياء ، في حين أن كلمة شخص التي تدل على القناع أو المظهر الجسماني ويقال أيضا شخص شيء أي برز و ظهر و جاء في القرآن الكريم مدلول كلمة شخص بمعنى " نظر بإلحاح في قوله تعالى " و اقترب موعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا،" (القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، الآية 97) و في هذا السياق يرى عزيز الحبابي أن الإسلام اهتم بالإنسان و شخصيته و قد حدده وفق الأبعاد التالية :

العرض : وهو يمثل الجانب المعنوي الذي يجب الدفاع عنه و حمايته بمعنى الفضيلة ، الروح ، السمعة الشرف .

الحسب : و هو القيمة و الاستحقاق والنبل سواء كان مكتسبا بجهود شخصية أو موروثا .زيادة على ذلك نجد تجليات حضور الشخصانية في الإسلام من خلال دخوله في علم الفقه فأصبح موضوعا للأحكام الشرعية بصفتها المسؤولة عن فعاليته

و يقوم بأعمال تطبق عليها أحكام الدين كما تنطبق عليها القيم الأخلاقية و معايير المجتمع فلقد أصبح الشخص ذاتا لها معاييرها الخاصة و استقلالها الذاتي ، فضلا عن ذلك فإن الإسلام كرم الشخص حيث نجده كرم بني أدم و حمله مسؤولية الخلاقة في الأرض و هو تكريم و تقديس يتساوى فيه جميع الأشخاص على اختلاف فئاتهم و أجناسهم ، غير هناك اتفاق جوهري بين الشخص المؤمن وغير المؤمن حيث جعلهم الإسلام كلهم لهم الحق في الكرامة و القداسة و ذلك لأن جوهر الإنسان واحد حيث أعطي الإسلام للإنسان دون سواه من الكائنات الحية القداسة التي تأتي من الوعي و هي خاصية موجودة يتصف بها الإنسان وحده دون غيره ، و يضيف لنا الحبابي بأن الشخص "يتمتع باستقلال ذاتي و ترابطي لأن الأنا في الإسلام معشري بالرغم من الاختلاف في الطبائع بين البشر فإنها تتحاب في الله وتتواصل فيما بينها و في هذا الحب نجد مركز التقائها و نقطة و عيها للاستقلال فالشخص في مجتمعه أو أمته يرتقي بها و ترقى به و عليه أن يعي ذاته و عيا عن تما من خلال الشهادة " لا اله إلا الله " لأنه واقع مزاج و منفرد". (الحبابي محمد عزيز ، د ت ، ص 29 .) و منه نستنتج أن الإسلام ركز على قيمة الشخص من خلال إعطائه الطريق الصحيح لفهم وجوده و مواجهة تحديات الحياة ، و كانت المبادئ التي وضعها الإسلام للشخص هي التي استلهم منها الحبابي فكره عن الشخصانية الإسلامية .

الفلسفة الغدية : و هي تمثل المرحلة الثالثة من مراحل تفكير الحبابي و قد جاءت في وقت غلب فيه الاهتمام الاقتصادي و قضاياه وصراع القوى الكبرى والتنافس الدولي ، فهذه العناوين هي تفكير في شروط و أوضاع و اهتمامات ومسائل معينة و ليست بأي حال نزاعات متضادة . (إسماعيل مهنانة ، 2014 ،ص 143).

إن الفلسفة الغدية تمثل عند الحبابي أعلى مراحل الوعي الشخصاني لدى الإنسان المسلم لأن فيها يستطيع تأمل قضايا ومشكلات عصره و قراءته لها قراءة معاصرة مبنية على توافقات علمية قابلة للتنبؤ و إزاء ذلك يصبح للمرء العربي المسلم شخصية قوية يتباهى بها أمام بقية الأمم و يتخلص من التبعية لغيره أين يصبح ينتج و يصنع ما يستهلك.

ظروف و دوافع الاتجاه الشخصاني عند الحبابي : الحبابي كغيره من المفكرين العرب المعاصرين انشغلوا بسؤال النهضة العربية في مقابل تطور و تقدم الغرب وكل مفكر نجده قد تأثر باتجاه من الاتجاهات الغرب فنجد فيلسوفنا الذي هو انشغالنا في هذا السند المقدم لطلبة تخصص فلسفة في مقياس الفكر العربي المعاصر قد تأثر بالفكر الشخصاني و حاول إسقاطه على أزمات الفكر العربي المعاصر، فما هي الدوافع لذلك ؟

لعل الدوافع التي جعلت الحبابي يستلهم الفكر الشخصاني هي حالة الحرمان

و القلق والعصاب التي خلفها الاستعمار حيث جعلت النظرة إلى الإنسان نظرة مزدوجة يتقابل فيها إنسانان أحدهما من الدرجة الأولى و الآخر من الدرجة الثانية فالأول متحضر، متمدن له القوة والنفوذ والثاني بدائي مغلوب على أمره مسلوب الإرادة ، ضعيف الشخصية ، إنه هنا يقصد المجتمع العربي أو العالم الثالث فهو المغلوب على أمره الضعيف في جميع المجالات ، منحط اللغة و خارج عن إطار التاريخ يساهم في الإنتاج و تقديم الخدمات،(إسماعيل مهنانة ، 2014 ، ص 140) من هنا كان الشخصانية محاولة للإجابة عن مختلف الأسئلة التي يفرضها الواقع على الشخص ووصفها بأنها مجموع إنضواءات و مواقف يتخذها المرء أمام عالم اليوم في المجالات كافة . (الحبابي محمد عزيز ، 1968 ، ص 192).

و بالتالي فإن الشخصانية في الفكر العربي المعاصر أراد من خلالها الحبابي إعادة الاعتبار للشخص العربي حتى يستيقظ من سباته العميق و يرفع من شخصيته

و يحاول فهم قضاياه و وجوده بنفسه والتخلص من التبعية لغيره و ذلك عن طريق اتخاذ استراتيجيات و خطط تتماشى مع هويته و مقوماته و كذا توجهاته الدينية ولهذا كان توجه الحبابي نحو الشخصانية الإسلامية كما ذكرنا آنفا باعتبارها حاملة لجميع مقومات و مبادئ الإنسان العربي التي من شأنها مساعدته بشكل كبير تحرره من سلطة الغرب .

خـاتمة :

إن الشخصانية موضوعها هو الشخص و همومه و أفراحه المستمدة من التاريخ بأبعاده الثلاثة ، الماضي و الحاضر و المستقبل و كذا أحداث الواقع لتحاول بذلك الشخصانية كنزعة وضع الإنسان دائما في وضعية الاعتدال لتصنع منه شخصية متعالية ذو بعد أخلاقي بالدرجة الأولى تصونه قيمته و كرامته و في مقاربة ختامية نحاول فيها أن نجمع بين الأبعاد الثلاثة من الفكر الشخصاني الذي انتهجه الحبابي حيث أن الشخصانية الواقعية تركز على الشخص و هو يقوم بنشاطه وحيث هو خاضع لمختلف المؤثرات في إطار يرتبط فيه الذاتي بالموضوعي ارتباطا متينا بناءا على نظرة كلية فالشخص جزء من واقع مادي وتاريخي ، ومن الشخصانية الواقعية التي تنطلق من معطيات الواقع يتجه بنا الحبابي إلى الشخصانية الإسلامية أي أننا لمحاولة واقعنا الذي تعتبر أزمتنا التي نعاني سواء كانت في القيم أو في الثقافة أو في الفكر فإن حلولها مرتبطة بالعودة إلى شخصيتنا الموجودة تفاصيلها في الإسلام و لما نفهم المبادئ والمقومات الموجودة في إسلامنا فإننا بعد ذلك نتجه إلى تطلعات الغد من خلال اتخاذ منهج أو إستراتيجية تقودنا إلى بر الآمان و الطمأنينة نحو مستقبل زاهر لمجتمعاتنا العربية.

المراجـع :

- القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، الآية 97.
- الحبابي محمد عزيز ، *من الكائن إلى الشخص* ، 1968 ، دار المعارف ، مصر .
- مجموعة من الأكاديميين العرب ، تحرير إسماعيل مهنانة ، الفلسفة العربية المعاصرة ، تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مأزق الثقافة والإيديولوجيا ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2014
- حميش سالم ، معهم حيث هم لقاءات فكرية ، محمد عزيز الحبابي ، الفلسفة بين الشخصانية والغدية ، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1988 ، .
جلال سعيد الدين ، *معجم المصلحات والشواهد الفلسفية* ، دار الجنوب للنشر تونس .
الحبابي محمد عزيز ، *الشخصانية الإسلامية* ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة مصر.
سبيلا محمد ، نوح الهرموزي ، *موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة* 2018. ط 1 ، منشورات المتوسط ، العراق ، بغداد .
عزيزو محمد ، *الشخصانية عند إيمانويل مونييه* 2015 ، ط1 ، الفلسفة الفرنسية المعاصرة ، إشراف سمير بلكفيف ، منشورات الضفاف ، بيروت لبنان.
وقيدي محمد ، جرأة الموقف الفلسفي ، إفريقيا الشرق ، لينان ، د ط ، 1999.
يوسف كرم ، *تاريخ الفلسفة اليونانية* ، 1936. ، مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر ، مصر ، .